

الجرد الوطني للتراث الثقافي الأمازيغي

بطاقة جرد عنصر رقم 7/001

1- تحديد العنصر

- اسم العنصر

المعارف والمهارات المرتبطة بفخار نساء سجنان

- أسماء أخرى متداولة في المجتمع المحلي

طين سجنان/ الملاسة/ خدمة الطين

- الإطار الجغرافي لانتشار العنصر



يشكل الفخار اليدوي، على النحو الذي يمارس في منطقة سجنان حيث الاعتماد على أسلوب القولية، تقليدا شائعا في مختلف أنحاء البلاد، ذلك أنه يعدّ مهارة متوارثة ملتصقة بجملّة الأنشطة التي تتعاطاها المرأة التقليدية بالوسط الريفي. ولعلّ من أهمّ المراكز التي عرفت ولا تزال بهذا النشاط هي البرّامة بربع سليانة وقرية الدويرات بولاية تطاوين وبعض مناطق الساحل والوطن القبلي. لكن قرية سجنان التابعة لولاية بنزرت

والواقعة عند أقصى الشمال التونسي، هي التي صارت النموذج المعبّر عن هذا التقليد، نظرا لما حافظ عليه من مهارات ومعاجم زخرفية ضاربة في القدم ولما حظي به من دعم واهتمام سمح له بالاندراج في دينامية الاستخدام والإبداع وبالتمدّد تدريجيّا ليشمل جلّ أنحاء المعتمدية التي تمثّل سجنان مركزها. وهي تتطابق إلى حدّ بعيد مع كان يعرف ب"مقعد" نسبة إلى المجموعة القبلية (عرش) الحاملة لهذا الاسم والتي كانت تتكوّن نواتها من أربعة فروع رئيسة هي المعالية وبن سعيدان والسحابنة والمشاركة.

- مجال أو مجالات انتماء العنصر

المعارف والمهارات المرتبطة بالحرف التقليدية.

2- وصف العنصر

- الوصف التفصيلي

تمثل ممارسة الفخار اليدوي بسجنان تقليدا اجتماعيًا يكاد يكون معممًا على جميع النساء، وإن اختلفت درجة الإتقان وكثافة النشاط. وتبدأ العملية بالحصول على الطين المتوقر بكثرة في المنطقة، وإثر تجفيفه بأشعة الشمس وتنقيعه من الشوائب كالحصى والحشائش، يوضع في حفرة أو إناء كبير ويمزج بالماء كي يتحلل، ثم يضاف إليه مسحوق كان قد أستخرج من طحن شقف الفخار يسمى تافون وظيفته الحصول على طينة متماسكة، تسمح للقطعة الفخارية بأن تصمد أمام النار أثناء عملية الحرق.

وعندما تصبح عجينة الطين ليّنة صافية مطواعة، تفرش الملاسة الأرض وقد جهزت نفسها بأنية ماء تضعها حذوها. وتباشر عملها انطلاقًا من قاعدة معدة من الطين و روث البقر تسمى "غلاق"، حيث يتم استئصال قطعة أولى من عجين الطين لتوضع فوقها، فتسطح لتشكل قعر القطعة المزعم صنعها. ثم توضع لفافات الطين على امتداد محيط القطعة الواحدة فوق الأخرى. وهكذا ترتفع الجوانب تدريجيًا بعد أن تكون قد التحمت ببعضها البعض عبر صقلها بقطعة من خشب تسمى "مشاطة". كما يقول بطن القطعة ليأخذ شكله النهائي، لتنتهي هذه المرحلة بتركيب العرى والأنابيب، حسب نوعية الأنية المراد صنعها.

بعدئذ تأتي مرحلة التجفيف بترك القطعة تحت أشعة الشمس لأيام، حسب درجة الحرارة وطبيعة الفصل، وذلك قبل صقلها مرة ثانية بواسطة حجرة ملساء أو صدفة حلزون أو محارة، و طليها بمحلول من المغرة أو الصلصال الذي يمنح لها نعومة وتماسكا ولونا جميلا.

إثر ذلك يتم المرور إلى الحرق أو ما يسمى "الحمي"، وهي عملية دقيقة يتوقف عليها مصير العمل ككله. وغالبا ما توقد النار في الهواء الطلق اعتمادا على روث البقر، أو باستخدام حطب الغابة في أحيان قليلة.

بعض القطع تكون جاهزة تماما للاستخدام بعد استكمال الحرق، سيما بالنسبة إلى أواني الطبخ، أما بعضها الأخر، فيحال على مرحلة أخرى من العمل، تتمثل في الزخرفة باستخدام اللون الأسود المستخلص من مسحوق ورق شجرة الذرو، لتتضاف إلى اللون الأحمر المستخرج من المغرة التي هي عبارة عن محلول من الطين الأحمر الذي عادة ما يثبت قبل الحرق. وعند الانتهاء من رسم الأشكال الزخرفية ذات الطبيعة الهندسية في هذه المرحلة، تحال القطعة من جديد للحرق، لكن لوقت قصير، و فوق درجة حرارة أقل، وبذلك يثبت ماء الذرو على الطين، ويتحول لونه من الأخضر إلى الأسود البراق.

وفي جميع المراحل، فإن العمل يعتمد مواد طبيعية محلية وأدوات بسيطة تصنعها الملاسة بنفسها، لكن وفق حركات متقنة ومعرفة دقيقة بخصائص المادة، تخزنها الذاكرة وتترجمها حركات الجسد. وفضلا عن قيمته المادية لارتباطه باقتصاد العائلة، فإن هذا النشاط يمثل قيمة اجتماعية ورمزية بالنسبة إلى المرأة الملاسة، حيث يمنحها الشعور بالاستقلالية والاعتداد بالنفس.

ورغم التغيرات المتلاحقة التي يشهدها المجتمع المحلي بسجنان، فإن صناعة الطين مازالت مستمرة، بل إن حضورها قد تعزز في السنوات الأخيرة، لتنتعش من جديد بفضل ما أبدته من تكيف سمح لها بتطوير منتجاتها وأساليب عرضها و فضائها لتستجيب لطلبات فئات مختلفة من الفاعلين (مؤسسات رسمية/ جمعيات / فنانون/ إعلاميون/ باحثون/ سياح أجانب ومحليون). ولقد خلق هذا التفاعل دينامية حقيقية هي أبرز سمات فخار سجنان الذي هو اليوم عنوان هوية بالنسبة إلى المجتمع المحلي ككله.

- العناصر المادية وغير المادية المصاحبة للممارسة أو المهيكلة لها (الفضاء/ الأزياء/ الأدوات...)

لا تحتاج ممارسة فخار سجنان إلى أدوات مادية أو رمزية خاصة، فيكفي توفر المواد الأولية من طين وماء وحطب حتى تكون المرأة الملاسة قادرة على صنع الأواني الفخارية التي تريد، بفضل ما اختزنته من معارف ومهارات. أما عن الفضاء المبني، فإنه لا يهم باعتبار انتظام جل النشاط في محيط المنزل حيث الهواء الطلق. العناصر المادية:

- المواد الأولية: الطين، التافون، الماء، الصلصال، المغرة، أوراق شجر الذرو، مواد الحرق.
- الأدوات: "الغلاق"، المشاطة، صدفة حلزون أو محارة، وعاء الماء.

- الممارسات العرفية التي تنظم أو تمنع الوصول إلى العنصر

لا توجد ممارسات أو إجراءات من هذا القبيل

- كيفية التعلّم وطرائق النشر بين الأعضاء والتمرير للنائشة

تعدّ صناعة الفخار جزءاً من التنشئة الاجتماعية في المجتمع المحليّ، إذ تحرص كلّ عائلة على تعليم بناتها مهارات قولبة الطين وفنون زخرفته. وإذا كانت العائلة لا تتقن هذا النشاط، فإنّها بالإمكان أن تتعلّم بناتها عبر شبكة العلاقات الاجتماعية التقليدية المبنية على القرابة أو المجاورة الجغرافية. ولأنّ ممارسة الطين أمر حيويّ في اشتغال الأسرة وتوازنها، فإن المرأة تحرص على تمريرها لبناتها كغالبه من الاحتياج. وفي هذا السياق، يتواتر على ألسنة نساء سجنان المأثور الشفوي التالي: "طينة فوق طينة، والمحارة زينة ولا شدة الغبينة"، وهو يعني أنّه من الأفضل للمرأة تتعلّم صناعة الطين حتّى لا تبقى تحت رحمة جاراتها اللواتي قد يرفضن يوماً إعارتها الأواني الفخاريّة التي قد تحتاج إليها.

أمّا اليوم، فبالإضافة إلى القنوات التقليدية التي مازالت تسنّثر بالنصيب الأوفر في مجال التعليم والتدريب، هناك قنوات جديدة مرتبطة بالهيكل الرسمية للدولة، سيما الديوان الوطني للصناعات التقليدية، فضلاً عن بعض الجمعيات غير الحكومية التي انخرطت في الاهتمام بالعنصر من خلال تأمين نقل المعارف و معارف العمل المرتبطة به إلى النائشة، سواء في إطار المجتمع المحليّ أو خارجه. من ذلك أنّه يتمّ الاعتماد على مجموعة من حرفيات الفخار المعروفات بالجهة، مثل السيدة جمعة و السيدة صبيحة، لتكوين الفتيات وتدريبهنّ على فنون صناعة الفخار ومهاراته.

3- الفاعلون المعنيون بالعنصر

- حملة العنصر من الممارسين له بشكل مباشر

النساء الملائسات اللواتي يباشرن بأنفسهن صنع الفخار في مختلف مراحلها.

- مشاركون آخرون

نظراً إلى الطبيعة المنزليّة لفخار سجنان، فإنّ أفراد العائلة يساهمون بشكل أو بآخر في هذا النشاط، سيما الأطفال وبعض الكهول. على أنّ طبيعة المساهمة وحجمها تختلفان بحسب وضعية كلّ عائلة من حيث الالتزامات المهنية والدراسية لأعضائها.

وممّا يسترعي الانتباه تزايد حضور العنصر الرجالي في ممارسة العنصر، ليس فقط على صعيد تأمين جلب مادّة الطين وتسويق المنتج والتعريف به، وإتّماً أيضاً عبر الإسهام المباشر في بعض مراحل صناعة الفخار، وهو أمر كان نادراً في الماضي. كما لا ينبغي التغافل عن مساهمة الأطفال من الجنسين في دورة الممارسة.

- منظمات غير حكوميّة/ المجتمع المدني

- جمعية المحافظة على البيئة بسجنان

- جمعية التنمية النشيطة بسجنان

- جمعية زهوة بسجنان

- جمعية "الشارع فنّ" L'Art Rue
- جمعية "نساء حرفيات فخار سجنان" مجمع المصالح الاقتصادية مآسات سجنان
- Le Groupement d'Intérêt Economique «GIE des Potières De Sejnène» crée le 12 octobre 2012.

- هيئات رسمية

- دار الثقافة ابن سينا بسجنان
- دار الشباب بسجنان
- المكتبة العمومية بسجنان
- المدارس الابتدائية والإعدادية والمعاهد الثانوية بسجنان
- المنووية الجهوية للثقافة والمحافظة على التراث بنزرت
- المنووية الجهوية للصناعات التقليدية بنزرت
- ولاية بنزرت
- المعهد الوطني للتراث
- وكالة إحياء التراث والتنمية الثقافية
- وزارة المرأة
- الديوان الوطني للصناعات التقليدية
- الجامعة التونسية: المنار / منوبة / تونس.

4- مدى قابلية العنصر للاستمرار: العراقيل والتهديدات

يشهد العنصر رواجاً كبيراً في السنوات الأخيرة، لكن ذلك لا ينفى أنه يواجه عراقيل وتهديدات لعل أهمها المشاكل الناجمة عن التسويق العشوائي والخضوع لمنطق تجاري يؤدي إلى التخلي عن الكثير من مقومات الحرفة مثل استبدال الخامات الطبيعية في الزينة (نباتات وتربة) بمواد كيميائية.

5- برامج التثمين وإجراءات الصون

حظي العنصر باهتمام ما فتئ يتطور ويتوسّع ليشمل مختلف أبعاده، فمنذ النصف الأول من القرن العشرين ظهرت بعض الدراسات التي حاولت توثيق المعارف والمهارات المرتبطة بفخار سجنان والبحث فيها من جهتي نظر تاريخية وأثنوبولوجية. ولعل أبرز مثال على ذلك ما قام به الطبيب والأنثروبولوجي "إرنست غوبير" الذي لم يكتف بالدراسة، وإنما بادر، خلال منتصف الثلاثينات من القرن المنقضي، باقتناء بعض القطع من فخار سجنان التي أهداها فيما بعد إلى المتحف الوطني بباردو، لتكوّن نواة المجموعة المتحفية التي تمّ العمل على إنشائها وتطويرها تباعاً عبر مقتنيات المعهد الوطني للتراث على فترات مختلفة (1964، 1978، 1998، 2005...). وقد أمكن جرد كلّ قطع المجموعة ضمن كتاب خاص للباحثة نزهة سكيك تحت عنوان *La Poterie Modelée en Tunisie, un patrimoine ancestral*. تولى نشره المعهد الوطني للتراث سنة 2009.

وفي إطار مشروع "الحرف التقليدية" قام فريق من المعهد الوطني للتراث سنة 2007 بتوثيق مفصل وشامل للعنصر عبر الاهتمام ليس فقط بجوانبه التقنية، وإنما أيضاً بجوانبه الاجتماعية والاقتصادية، مع محاولة رصد التغيرات التي طرأت عليه وما يواجهه من تحديات. كما أجريت دراسات ميدانية مختلفة في إطار الجامعة التونسية ركّز بعضها على ديناميكية العنصر من خلال ربطه بمسألة التنمية المحلية.

وفي باب التوعية، تتالت وتكثفت البرامج والتدخلات الهادفة إلى التعريف بالعنصر، سواء على الصعيد المحلي أو على الصعيدين الجهوي والوطني، وذلك بمبادرة من عدد من الجمعيات والهياكل الرسمية للدولة والتي كثيرا ما تتكثف خلال الاحتفال بشهر التراث من 18 أبريل إلى 18 ماي من كل سنة. ولصون العنصر، والعمل على استدامته، تولّى ديوان الصناعات التقليدية، عبر هيكله الجهوي، إنشاء قرية حرفية تكوّنت نواتها الأولى من مجموعة من الدكاكين المهنيّة لتيسير ترويج المنتجات الفخارية قرب سكن الحرفيات أين يباشرن نشاطهنّ. كما أمّن عددا من الورشات التكوينية لفائدة مجموعة من الفتيات بواسطة حرفيات سجنانيات معروفات بخبرتهن ومهارتهن، وهو ما ساهم في توسيع قاعدة الحرفيات اللواتي يمارسن هذا النشاط وتميرير ذاكرة الفخار إلى الأجيال الشابة.

وعلاوة على برامج الهياكل الرسمية الجهوية والمحلية، سيما دار الثقافة ودار الشباب، تبدي عديد الجمعيات اهتماما متزايدا بصون العنصر، وفي ذلك نذكر مشروع "العروسة" الذي هو عبارة عن لقاء بين ستين حرفية فخار من سجنان وعشر فنانات تشكيليات من مدينة نيس الفرنسية فضلا عن عدد من الفنانين والفنانات من تونس، وقد تركّز في فصله الأول الذي امتدّ من أكتوبر 2010 إلى جوان 2011، على ورشة كبرى لصناعة عرائس الطين بسجنان، حدث فيها تفاعل بين الفن التشكيليّ وصناعة الطين، تفاعلا أفرز مجموعة هائلة من القطع الفخارية التي قدّمت للجمهور ضمن معرض خصّص للغرض. وبعد سلسلة من المعارض في أنحاء مختلفة من البلاد، دخل المشروع مرحلته الثانية من أكتوبر 2012 إلى أوت 2013، وهي عبارة عن شراكة بين سجنان و مدينة Aubagne الفرنسية أتاحت تبادل الخبرات والتجارب وتسويق كمية من فخار سجنان في المعرض الدولي للخزف. وانتهى المشروع بتكوين تعاونية صغيرة لحرفيات الطين بسجنان من أجل مساعدتهنّ على ترويج منتجهنّ وفق مسالك منظمة.

6- التوثيق الفوتوغرافي للعنصر





7- هوية الشخص المرجعية المعتمدة في استيقاء البيانات

اتّخذت مقابلة الجرد شكل المحادثة الودية المفتوحة في إطار عائلة ضمّت ثلاثة أجيال: الجدة (جمعة) وأختها وابن جمعة مع زوجته وابنها الذي ما يزال طفلا. لكن البيانات الأساسية وردت على ألسن الآتي ذكرهم:

- جمعة السالمي: 1937/05/12، هي أشهر ملاّسات سجنان وأقدمهن، وهي ذاكرة تطور العنصر منذ ما يناهز على الخمسين عاما. وتعتبر أول امرأة حرفية عرضت منتوجها للبيع بعدما كان يصنع للاستخدام المنزلي فحسب/ العنوان: القتمه، سجنان، الهاتف 97512078

- مصباح السعيداني: ابن جمعة مولود في 1966/10/10، يتقن صناعة الفخار وصار مكوّنا فيها في إطار برامج المندوبية الجهوية للصناعات التقليدية ببنزرت. العنوان: القتمه، سجنان. الهاتف: 96581703

- حليلة السعيداني: زوجة مصباح السعيداني، مولودة في 23 جانفي 1970. تمرّست على صناعة الفخار، وهو ما سمح لها بالمشاركة في عدة معارض حتى خارج البلاد. وقد مرّرت معارفها ومهاراتها لابنتها هاجر (17 سنة) التي أمكن لها بفضل تعلّمها أن تتطوّر بسرعة وتشارك في الكثير من التظاهرات. تقييم بالعنوان نفسه. الهاتف: 96984008

8- المصادر والمراجع - المكتوبة

- Au Pays d'une grande Tradition Millénaire. La poterie modelée des femmes de Sejnane, Catalogue de l'Exposition ethnographique, INP, BLM, Karsuhe, 2005.
- Balfet (H.), « Poterie artisanale en Tunisie », dans Cahiers de Tunisie, 1958.
- BAKLOUTI Naceur, Poteries modelées en Tunisie, Maison Tunisienne de l'Édition/ Institut National d'Archéologie et d'Arts, 1990.
- BAKLOUTI Naceur, « L'esthétique de la poterie modelée, entre spontanéité et élaboration », dans Coutumes et décors de Tunisie sous le regard d'Ernest Gobert, ouvrage collectif Sous la direction du Muséum d'Histoire Naturelle d'Aix-En Provence, Cérès Editions, Tunisie,
- BEN SLIMANE Souad, « Les femmes de Sejnane à l'honneur », journal La Presse de Tunisie, 18 aout 2012.
- BEN ZINEB Sayda, « Le savoir-faire des poteries de Sejnane : projet Laaroussa », journal Le Temps, 18-06-2011.
- CAMPS G., Corpus des poteries modelées, CRAPE, Alger, 1964.
- Collectif, Sejnane, Au pays d'une tradition millénaire, Institut National du Patrimoine, Tunisie, Badisches Landesmuseum, Allemagne, 2005.
- Couleurs de Tunisie, 25 siècles de céramique, Catalogue de l'Exposition Archéologique, IMA et INP, Paris, 1994.
- DAOULATLI Abdelaziz, Poteries et céramiques tunisiennes, Tunis, Institut d'Archéologie et d'Art, 1979.
- GOBERT Ernest, « Les poteries modelées du paysan tunisien, », Revue Tunisienne, 1940, pp. 119-193.
- GUETA Hayet, « Signes et symboles magiques des décors de la poterie modelées de Sejnane », Revue Africa, Série Arts et Traditions Populaires, N°14,

INP, Tunis, 2005.

-GUICHARD Pierre, Par la main des femmes. La poterie modelée au Maghreb, Editions de la Maison de l'Orient et de la Méditerranée, 2015.

- HANNACHI H., « Poterie de Sejnane : Sabiha, Jomaa ... et les autres », Journal Le Quotidien, 10 septembre 2012.

- KEBAIR Zeineb, Signes et symboles de la céramique de Mogod, Mémoire de Master en Sciences du patrimoine soutenu à la Faculté des Sciences humaines et sociales en 2014.

- LOUHICHI Adnen et SKIK Nozha, Les poteries de Sejnane, des femmes et un savoir-faire, Editions Finzi, Tunis, 2007.

- RIAHI F. Formes et fonctions de la poterie de Sajnane, mémoire soutenu à l'Institut technologique d'architecture, d'art et d'urbanisme, Tunis, 1977.

- SETHOM (H.), L'artisanat de la poterie en Tunisie, dans Mémoires de la Société de Géographie de Paris, T. I, 1961.

- SKIK Nozha, La poterie modelée en Tunisie, un patrimoine ancestral, Ed. Institut National du Patrimoine, Tunis, 2009.

- THEUWIS Alfons, « Figurines de Sejnane », IBLA, N°191, 2003, pp. 69-76.

-TRABELSI B., La poterie rurale et sa décoration à Takelsa et à Sajnane, mémoire soutenu à l'Institut technologique d'architecture, d'art et d'urbanisme, Tunis, 1977.

- الأحمر المولدي، انتقائية التفكك والنمو في الأرياف التونسية: التحوّلات الحديثة في الصناعات اليدوية المنزلية بسجنان، دار سحر للنشر، تونس، جانفي 2003.

- بلغيث فاطمة، فخار سجنان: من الدلالات الأصلية إلى الأبعاد التراثية، مذكرة ماجستير تحت إشراف الأستاذ لرقش عبد الحميد، كلية الآداب بمنوبة، السنة الجامعية 2015-2016، لم تناقش بعد.

- الكشوطي كمال، "الفخار الريفي في سجنان: اختزال في الأشكال وبلاغة في التعبير"، مجلة المآثورات الشعبية (قطر)، عدد 90، 2015.

- السّمْعيّة البصريّة

- شريط صبيحة للمخرج صامد حجّي
- شريط قصير للمخرج حاتم بن ميلاد بعنوان « D'argile »، 2009، وهو مركز على شخصية جمعة التي تعتبر عميدة مآسات سجنان.

- المواد الوثائقية المحفوظة في المتاحف والأرشيفات والمجموعات الخاصّة

- المجموعات المتحفية الخاصّة بفخار سجنان التي تمّ جمعها في فترات مختلفة (1964، 1978، 1998، 2005) وهي موجودة الآن بمخزن قصر السعيد التابع للمعهد الوطني للتراث بعدما تمّ نقلها من متحف الفنون والتقاليد الشعبية/ دار بن عبد الله، بسبب أشغال الترميم وإعادة التهيئة.

- 9- معطيات تقنية حول عملية الجرد

- تاريخ البحث الميداني ومكانه

الأربعاء 22 جوان 2016/ القتمه/ سجنان

- جامع أوجامعو المادّة الميدانيّة

عماد صولة: باحث وأستاذ محاضر / منجي السعيداني: جمعية المحافظة على البيئة بسجنان.
زينب المشرقي، طالبة ماجستير علوم التراث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

- تاريخ إدخال بيانات الجرد

الثلاثاء 28 جوان 2016.

- محرّر البطاقة

عماد صولة